

الأخوة الإيمانية من منظور الثقلين

آية الله السيد
محمد باقر الحكيم

دار الغدير / قم

اسم الكتاب: الاخوة الإيمانية من منظور الثقلين
المؤلف: آية الله الشهيد السيد محمدباقر الحكيم (قدس سره)
الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)
وبالتعاون مع مؤسسة دار الغدير
الطبعة الاولى: ١٤١٩ هـ
الطبعة الثانية: ١٤٢٥ هـ
المطبعة: ليلى
الكمية: ٥٠٠٠

ISBN: 964-7756-49-6

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

www.ahl-ul-bayt.org

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم
والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.
وبعد، فهذه مجموعة من المحاضرات الأخلاقية المبسّطة،
ألقيتها على جماعة من الأخوة المؤمنين الأعزاء في العشر الأوائل
من شهر رمضان المبارك، بين صلاتي الظهر والعصر، للإستذكار
والتذكير في موضوع هام، أشعر بالحاجة الماسة إلى التذكير به، وهو «علاقة الأخوة الإيمانية»
، وقد استفدت ما ذكرته من الآيات الكريمة والروايات الشريفة المروية عن النبي(صلى الله عليه وآله)
وأهل بيته الكرام(عليهم السلام) ، وقد سميتها : «الأخوة الإيمانية من منظور
الثقلين».

وقد قمت بمراجعتها لتهذيبها في لغتها وسبكها بالمقدار الذي لا يخرجها عن أسلوبها البياني.
وقد قام بطبعها واستخراج مصادرها ولدي ورقة عيني الفاضل السيد محمّد صادق الحكيم،
لتكون في متناول أيدي المؤمنين.
وأسأله تعالى أن يتقبل منا هذا العمل الضعيف، فيضاعفه لنا بكرمه وجوده ومثّه، وأن يجعله
مورد منفعة وفائدة لعموم الأخوة المؤمنين، ولا سيما الشباب والفتيات منهم، وأن يوصل ثواب ذلك
الى أرواح سادتنا وموالينا أهل البيت(عليهم السلام)وسيدهم رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وإلى روح
والدي الإمام الحكيم، وعقيلته الحاجة فوزية، والشهداء من هذه الأسرة الكريمة.

والله ولي القبول والتوفيق، وهو نعم المولى ونعم
النصير

محمّد باقر الحكيم

٢٠ شعبان ١٤٢٢ هـ

موضوع البحث

الإخوان، وحقوق الإخوان، وطبيعة العلاقات التي يجب أن تقوم بين الإخوان المؤمنين موضوع مهم، حيث يلاحظ أن مجتمعاتنا بالرغم من أنها مجتمعات إسلامية وولائية، ترتبط بأهل البيت (عليهم السلام) والإسلام الحنيف، ولكن علاقة الأخوة الإيمانية التي هي علاقة سياسية، تبدو - أحياناً - أنها مهتزة، أو تهتز - أحياناً - بسبب الظروف والمشاكل التي يواجهها هؤلاء المؤمنون والضغوط النفسية والروحية والمادية التي يتعرضون لها.

ولذلك يحسن بنا أن نتناول هذا الموضوع في هذا الشهر المبارك^(١)، لأن موضوع العلاقة بين المؤمنين، وفهم هذه العلاقة ومحتواها من ناحية، والآثار المترتبة على هذه العلاقة والحقوق التي جعلها الله سبحانه وتعالى لها من ناحية أخرى من الأمور المهمة، حيث يجب أن نسعى في هذه الأيام الشريفة لبناء أنفسنا بناءً صحيحاً ونقيم علاقتنا مع بعضنا - أيضاً - بصورة صحيحة.

وتوجد في القرآن الكريم آيات عديدة تشير إلى هذا الموضوع، منها قوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)^(٢)، وقوله تعالى: (...وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا...)^(٣). وقوله تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)^(٤)، وإذا أردنا أن ننظر إلى موضوع هذه العلاقة من خلال هذه الآية الكريمة وغيرها، وكذلك مما ورد من نصوص شريفة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الكرام (عليهم السلام) التي تتحدث عن هذه العلاقة، يمكن أن نخرج بنظرية كاملة حول طبيعة هذه العلاقة ومحتواها وآثارها وحقوقها التي وضعها الله سبحانه وتعالى في هذا المجال.

نظرية الأخوة الاجتماعية

(١) هذه المحاضرات ألقاها سماحته في مكتبه بقم المقدسة في العشر الأوائل من شهر رمضان المبارك سنة ١٤٢٠ هـ .

(٢) الحجرات: ١٠ .

(٣) آل عمران: ١٠٣ .

(٤) التوبة: ٧١ .

ونبدأ في تصور هذه النظرية وشرحها من علاقة الأخوة في الإسلام. ويفترض القرآن الكريم - كنا قرأت عليكم - بأنَّ العلاقة بين المؤمن والمؤمن هي علاقة الأخوة، وعلاقة الأخوة ذات طبيعة تاريخية وواقعية وتكوينية في حياة الإنسان والبشرية، وقد بدأت هذه العلاقة منذ آدم(عليه السلام) بعد أن منَّ الله سبحانه وتعالى عليه إذ خلق له زوجة وأسكنها الجنة، ثم شاء الله سبحانه وتعالى - في القصة المعروفة - أن يهبط آدم من الجنة إلى الأرض، ليمارس دوره في هذه الحياة الدنيا، ورزقه الله سبحانه وتعالى أولاداً، فكانت علاقة الأخوة بين هؤلاء الأولاد ، كما يعبر عنها القرآن الكريم بذلك في قصة ابني آدم^(٥) (عليه السلام)، واستمرت هذه العلاقة في تاريخ الإنسانية منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا، وسوف تستمر حتى يأذن الله بفناء هذه البشرية، وهي علاقة امتاز بها البشر على بقية المخلوقات.

وهذه العلاقة بالرغم من أنَّها من العلاقات التكوينية القائمة في حياة الإنسان ، لكن مع ذلك نلاحظ بأنَّ القرآن الكريم أختار عنوان هذه العلاقة من أجل أن يطلقها على علاقة الإنسان المؤمن بالمؤمن والمسلم بالمسلم (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...)، مع أنَّه تجد هناك علاقات أخرى تكوينية بين الناس إلى جانب علاقة الأخوة ، مثل علاقة الأبوة والبنوة، أو علاقة الزوجية، أو علاقة العشيرة والقبيلة والقوم والرحم، وهي - أيضاً - علاقات قائمة في حياة الناس، لها مداليلها وآثارها وحقوقها وواجباتها، فلماذا اختير خصوص هذا العنوان والمثال للتعبير عن العلاقة بين المؤمنين دون بقية العناوين الأخرى؟ فلم توضع علاقة الأبوة مثلاً بين المؤمنين، بحيث يكون المؤمن أبا المؤمن من أجل التعبير عن حالة الرحمة والحنان بين المؤمنين، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك في علاقات المؤمنين:

(... رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...) ^(٦)، أو علاقة البنوة بحيث تكون علاقة المؤمن

مع المؤمن الآخر علاقة التذلل والتواضع، فيرحمه في تذلله وتواضعه ، كما أشار القرآن الكريم الى هذه العلاقة بين المؤمنين في قوله تعالى: (... أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ...) ^(٧)، عندما وصف المؤمنين الصالحين بها، والمقصود من الذلة هنا هو خفض الجناح، كما ورد تفسيرها في علاقة

(٥) فقد جاء في قوله تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِلَيَّ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء وإي الظالمين * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَثِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوزِلْنِي أَعِزَّتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأَوْارَى سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)، الأنعام: ٢٧ - ٣١.

(٦) الفتح: ٢٩ .

(٧) المائدة: ٥٤ .

البنوة (وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ...) ^(٨)، فإنَّ الابن يخفض جناحه لأبيه في مقام التعبير عن الرحمة، وهكذا الحال بالنسبة إلى عنوان الزوجية، فإن بعض المعالم التي سوف نقرؤها في بعض الروايات والأحاديث عن علاقات المؤمنين تشير إلى أنَّ المؤمن سكن للمؤمن وعلاقة الزوجة هي علاقة السكن، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: (وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً...) ^(٩)، فهي علاقة السكن والمودة والرحمة، إذن، فلماذا اختير عنوان الأخوة دون عنوان الأبوة أو غيره من العناوين الأخرى؟

يبدو من خلال التأمل والتدبر في القرآن الكريم، وطبيعة هذه العلاقات التي يشير إليها القرآن الكريم والروايات الشريفة - والله أعلم - أنَّ هذه العلاقة هي أقرب علاقة تكوينية بين شخصين، ولكن مع أخذ حالة التكافؤ والتوازن فيها، فإنَّ علاقة الأبوة والبنوة - مثلاً - وإن كانت أقرب، ولكن لا يوجد فيها حالة التكافؤ بين الطرفين في رؤيتها لهما، إذ أنَّها تنظر إلى الأب أنَّ له مقاماً أرفع من الابن، والابن له مقام أخفض من مقام الأب، بحسب النظرة إلى الطرفين من منظور إسلامي، ولذلك يكون للأب - أحياناً - ولاية على ولده، وأن الولد لابد له أن يطيع أباه - أحياناً أخرى - بدرجات متفاوتة، يتناولها الفقهاء. والعلاقة بصورة إجمالية لا ينظر فيها التكافؤ بين الطرفين. وهكذا الحال في العلاقة الزوجية، فإنه بالرغم من أن العلاقة الزوجية فيها جانب من التكافؤ في الحقوق والواجبات، ولكنَّها لا تمثل الصلة التكوينية القريبة كما في الأخوة، وليست قريبة كقربة الأخ مع الأخ من ناحية، كما أريد لها - أيضاً - في تنظيم وبناء الأسرة أن تكون بنحو يكون للرجل قيمومة على المرأة من ناحية أخرى، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك، وإن كانت هذه القيمومة قيمومة تنظيمية إدارية، وليست قيمومة طبيعية، كما في القيمومة على القاصر والسفيه، ولكن على أي حال لها هذا الوضع الخاص من التمايز في العلاقة الاجتماعية بين الزوجين، أما علاقة الأخوة فهي أقرب علاقة موجودة تكوينياً بين الجانبين، مع فرض حالة التكافؤ والتوازن والمساواة في العلاقة، ومن هنا جعلت عنواناً للعلاقة بين المؤمنين.

وقد انعكست هذه الرؤية والنظرية الاجتماعية - كما سوف نلاحظ - على طبيعة الحقوق وطبيعة المواقف والنظرة إلى المؤمنين أنفسهم، فالمؤمن كفؤ المؤمن في الحالة الاجتماعية وفي الدماء وفي الحرمات، ويصبح المؤمن عنصراً في الجسد الاجتماعي الواحد بدون طبقة وتمييز لأحدهم على الآخر - لا أنَّ أحدهم يكون رأساً والآخر يكون ذليلاً أو يداً أو رجلاً - كما ورد ذلك في بعض الروايات الشريفة التي وردت عن النبي (صلى الله عليه وآله)، أو عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

(٨) الإسراء: ٢٤.

(٩) الروم: ٢١.

إذن، فهذه العلاقة عندما أخذت هذا العنوان، أصبح لها مضمون حقيقي لا مجرد تشريف أو تحبيب، فالقرآن عندما تحدث عنها رتب عليها أحكاماً اجتماعية - كما ورد ذلك في سورة الحجرات - وكذلك عند شرحها ذكروا أنها علاقة ذات عمق حقيقي تعبر عن الأخوة بكل ما تعني هذه الأخوة من معنى، وليست القضية فقط قضية تشريف وترغيب وتشويق للناس في أن تكون علاقة بعضهم مع بعض علاقة الإخاء، بل ينتهي بها أهل البيت (عليهم السلام) في حديثهم عنها إلى أنها لا تختلف في عمقها وجذرها عن العلاقة الأخوية التكوينية ، غاية الأمر أنه لا يترتب عليها بعض الآثار الشرعية مثل التوارث، أو حرمة الزواج وما أشبه ذلك، ولكن من حيث عمقها الاجتماعي تمثل علاقة وارتباط عميق تشبه العلاقة التكوينية ، بل زاد أهل البيت على ذلك بأنها علاقة أفضل من العلاقة التكوينية في العمق والجذر والثبات.

نصوص توضح النظرية

لنقرأ مجموعة من الروايات التي وردت في هذا الموضوع، حيث نلاحظ فيها التعبير عن هذه الحقيقة^(١٠) :

(١٠) قد لا تكون كل واحدة من هذه الروايات رواية معتبرة في جميع مفرداتها على مستوى علم الرجل والحديث، ولكنها بمجموعها تعبر عن هذه الحقيقة الشرعية والإسلامية.

وذلك لأنه عندما تكون الروايات متظافرة أو متواترة على مضمون إجمالي يمكن الاعتماد عليها كدليل في استنباط هذه المضمون الإجمالي

